على هامش

تاريخ البيمارستانات في الإسلام

تحقيقات واستدراكات

انني من المعجبين بفضل العلامة الدكتور احمد عيسى بك وجهوده العظيمة في العلم والأدب وكنت توسطت لديه بإهداء الطبعة الأولى من تاريخ البيمارستانات في الإسلام الى جمعية التمدن الإسلامي بدمشق .

وتفضل باهداء الكتاب الى هذه الجمعية مع تقديم الكليشات (لوحات الرسوم) التي فيه ، والتي أنفق عليها من ماله الخاص ، وتعهدت الجمعية بجودة طبعه وتحقيق ما يتعلق بدمشق من المباحث والتعليق عليها ، ولكن لم نر شيئاً من التحقيق الذي تعهدت به الجمعية فيما يتعلق بدمشق ، كما أنها نقلت الكتابات التي فوق بابي المارستانين : النوري والقيمري ووضعتها في الكتاب بصورة مشوهة مغلوطة ، لذلك رأيت من الواجب التنبيه على الصواب في مباحث دمشق ، بعد ان رأيت بعض الباحثين ينقل هذه النصوص على علاتها .

المارستان الدقاقي

عُنوِن لهذا المارستان بثلاثة عناوين على انها مارستانات مختلفة ، فورد ذكر المارستان الصغير بدمشق (ص ٢٠٥) وبيمارستان باب البريد (ص ٢٢٩) والبيمارستان الدقاقي (كذا)(ص ٢٥٩) .

والحال ان هذه الاسماء هي لمسمى واحد وهو البيمارستان الدُقاقي ، ويقال له أيضاً البيمارستان العتيق والقديم ، وربما نسب الى نور الدين أيضاً ، لتجديده بناؤه وحبسه أوقافاً عليه .

ويقع هذا المارستان قبلي بيوت خلاء الجامع الأموي الغربية وتحت المنارة الغربية ، يفصل بينه وبين الجامع الأموي سوق القوافين الذي يبلغ عرضه أربعة امتار تقريباً ، ومكان المارستان الآن داران كبيرتان تعرف كل منها (ببيت قطنا)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أما تسميته بالبيمارستان الصغير ، والعتيق ، والقديم ، ففي مقابلة بيمارستان نور الدين الذي اشتهر بالكبير ، والجديد ، واما إضافته لباب البريد فلكونه واقعاً قريباً منه وداخله وأما نسبته للدُقاقي فالمظنون انه منسوب الى دقاق بن تتش السلجوقي صاحب دمشق المتوفى فيها سنة (٤٩٧) ولم نر أحداً من المؤرخين قال ان دقاقاً بنى مارستاناً ، ولكنهم يتفقون على أنه اقدم من النوري ويزيد صاحب شذارات الذهب بانه ينسب الى انه عمارة معاوية او ابنه (راجع ص ٢٠٦) من تاريخ البيمارستانات في الاسلام او (ج ٥ ص ٣٣٤)من شذرات الذهب وفي الأصل (ج ٣ ص ٤٠٧) وهو خطأ

وجاء في (ص ٢٥٩) البيمارستان الدقاني منسوب الى دَقان بن تتش . والصواب الدُقاقي منسوب الى دُقاق بن تُتش ، بالقاف لا بالنون ؛ وبضم الدال لا بفتحها

وقد رأى ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٨٩ زيادة ميم فيه فقال : انه دقماق وسماه الذهبي وصاحب مرآة الزمان دقاقاً بلا ميم ولعل الذي قلناه هو الصواب فاننا لم نسمع باسم قبل ذلك يقال له دقاق ، انتهى كلامه ، وبذلك خالف ابن تغري بردي اجماع المؤرخين الذين لم يجعلوا فيه ميماً خصوصاً ابن عساكر الذي كان مولده بعد وفاة دقاق بعامين فقط ، ولا شك أن ابن عساكر كان يسمع باسم دقاق من صغره كما انه اجتمع بالآلاف ممن كان يعرف دقاقاً أشد المعرفة ويضبط اسمه . فاذا لم يسمع صاحب النجوم الزاهرة بهذا الاسم فقد سمعه من كان بعصره من الثقات والمؤرخين ، ولذلك لم يقل أحد من المؤرخين بقول ابن تغري بردي كابن عساكر ، وابن خلكان ، وابن القلانسي ، والذهبي ، وأبي الفداء ، وسبط ابن الجوزي ، وصاحب عقد الجمان ، والروضتين ، وشذرات الذهب وغيرهم ممن يعدون بالعشرات

وجاء في (ص ٢٤٦) عنوان : بيمارستان الجبل وانه كان بقرية النيرب ولا يعرف شيء عنه ، ولا عمن أنشأه والزمن الذي أنشيء فيه الخ

والحقيقة ان هذا البيمارستان هو بيمارستان الصالحية القيمري المذكور في (ص ٢٣٥) وقد جاء التوهم بان هذا البيمارستان في النيرب من ترجمة عبد الوهاب بن احمد بن سحنون الطبيب في البيمارستان المذكور ، والخطيب بمسجد النيرب راجع نص

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك في (ص٢٤٦)وليس في ترجمته تصريح بان البيمارستان في النيرب . ولذلك ينبغي ان يعتبر هو والقيمري واحداً . ولا شك ان الصالحية يطلقون عليها اسم الجبل حتى وقتنا هذا .

وجاء في (ص٢٣٥ س٤)نعت واقف هذا البيمارستان بالكندي، والصواب الكردي

وفي الصفحة المذكورة أيضاً ما يلي : وفي سنه (٦٩٦ هـ) في يوم السبت النصف من ربيع الآخر شرعت التتار في نهب الصالحية واخربوا أماكن كثيرة ومنها المارستان بالصالحية وعلق عليه اسفل الصفحة بأن هذا النص منقول عن البداية والنهاية حوادث سنة (٦٥٦) ونقل في (ص ٢٤٦) نصاً آخر عن تاريخ الذهبي ان التتار لما دخلوا دمشق في سنة (٦٦٩) احرقوا ومعهم الكرج والأرمن مارستان الجبل وعدة مدارس . انتهى وأرقام سني هذه الحوادث الثلاثة خطأ والصواب فيها سنة (٦٩٩) . ونص البداية والنهاية في السنة المذكورة (ج ١٤ ص ٨ طبع مطبعة السعادة بمصر) ما يلي : وفي يوم السبت النصف من ربيع الآخر شرعت التتار وصاحب سيس في نهب الصالحية ومسجد الاسدية ومسجد خاتون ودار الحديث الأشرفية بها واحترق جامع التوبة بالعقيبة كان هذا جهة الكرج والأرمن من النصارى الذين هم مع التتار الخ وليس ثم ذكر للبيمارستان القيمري

وجاء في (ص ٢١١) ما يلي :

وذكر ابن الوردي انه في سنة (٧٢٨) جاء سيل عظيم على عجلون (دمشق) خرب سوق التجار والمارستان والدباغة وبعض الجامع . فلفظة (دمشق) لا وجود لها في تاريخ ابن الوردي ، وانما اقحمت لتفسير عجلون ، ولم يقل أحد بهذا التفسير ، ولعل هناك اشتباه أتى من كون عجلون على وزن جيرون التي قيل انها من اسماء دمشق

أما عجلون المذكورة في تاريخ ابن الوردي فهي التي يقول عنها القلقشندي في صبح الأعشى (ج ٤ ص ١٠٥) ما خلاصته : قلعة من جندل الأردن مبنية على جبل يعرف بجبل عوف ، وهي محدثة البناء بناها عز الدين اسامة[1] احد اكابر

(١) هو أسامة الجبلي الذي ينسب اليه حمام أسامة بدمشق راجع أخباره المتعددة في ج ٦ من النجوم الزاهرة ، وليس هو أسامة بن منقذ كما توهمه القلقشندي . ووهم فيه مصححوا النجوم الزاهرة فجعلوه وأسامة بن مرشد شخصاً واحداً في الفهرس في حين أن وفاة أسامة بن مرشد ذكرت سنة (٥٨٤) وحوادث أسامة الجبلي بقيت متسلسلة الى سنة (٦٠٩) وصححوا الجبلي بالحلبي في (ص ٦٠) بلا دليل ولا سبب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

امراء يوسف بن أيوب في سنة (٥٨٠) اهـ . وهي الآن احدى المدن الكبيرة في امارة شرقي الأردن . وجاء في ترجمة ابي الفرح بن القف الطبيب[1] انه خدم في قلعة عجلون عدة سنين ثم عاد الى دمشق وخدم في قلعتها لمعالجة المرضى ، وهذا مما يؤيد وجود مارستان في عجلون، ولذلك ينبغي ان يفرد عنوان خاص باسم: بيمارستان عجلون

وجاء في (ص ٢٥٥) تفري برمس ، والصواب تغري برمش ، وهو كافل مدينة حلب راجع الضوء اللامع (ج ٣ ص ٣٥)

وجاء في (ص ٢٥٩) قال ابن كثير في ليلة الجمعة الحادي والعشرين من صفر سنة (٧٦٤) عملت خيمة حافلة بالبيمارستان الدقاقي (?) جوار الجامع بدمشق لسبب تكامل تجديده ، وفي تاريخ ابن كثير (ج ١٤ ص ٢٩٩) المطبوع في مصر حديثاً طبعةً لا تخلو الصفحة منه من بضعة أغلاط (خيمة) ايضاً وهي خطأ والصواب (ختمة) وكان من العادة في الحفلات العامة ان يختم ختم من القرآن الكريم (اي يقرأ القرآن في تلك الحفلة باجمعه يقرأ كل انسان جزءً منه) ولا تزال هذه العادة في دمشق ولكنها متضائلة ، ويكتفى عنها الآن غالباً بقراءة آيات من القرآن الكريم من قبل قارئ رخيم الصوت . وقد تكرر ذكر الختمة في (ج ١٤) من تاريخ ابن كثير ففي (ص ٣٢٢ س ١٦) عملت ختمة عند قبر المنصور و (س ٢٠) عمل أهل دمشق ختمة عظيمة بالميدان الأخضر إلى جانب القصر الأبلق فقرئت ختمات كثيرة ، وفي (ج ١٤ ص ١٩ س ١٧) وعمل ليلتئذ ختمة عظيمة حضرها القضاة والعلماء . والظاهر انهم كانوا يطلقون اسم الختمة على كل حفلة يختم فيها القرآن ، ولم تكن هذه العادة قاصرة على بلاد مصر والشام بل كانت شائعة في بغداد أيضاً راجع الحوادث الجامعة (ص ٢٤ و ٢٥ و ٧٨)

وجاء في (ص ٢١٤) من كتاب تاريخ البيمارستانات صورة ما هو مكتوب على الباب الداخلي للبيمارستان وقد جاءت فيه عدة أغلاط ننشر هنا النص المطابق لما هو مكتوب على الباب ليقابل مع ما جاء في الصفحة المذكورة

(١) عيون الانباء ج ٢ ص ٢٧٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في سنة اثنين وثمانين وستمائة

بسم الله الرحمن الرحيم والذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منّاً ولا أذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له او صدقة جارية والمولى السلطان الشهيد الغازي في سبيل الله نور الدين ابو الثناء محمود ابن زنكي ابن آق سنقر قدس الله روحه ممن جمع الله سبحانه وتعالى لذاته وصف العالمين ومن شرط وقفه الذي اشهد به على نفسه انه وقف على البيمارستان المعروف بانشائه وجعله مقر لتداوي الفقراء والمنقطعين من ضعفة المسلمين الذين يرجا برؤهم وهو يستعدي الى الله تعالى على من يساعد في تغيير مصارف وقفه واخراجها عما شرطه حاكمه وتخاصمه بين يديه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمداً بعيداً وجدد ما كان تهدم من بنائه وبناء اوقافه في الايام السلطانية العادلية المنصورية الصالحية خلد الله سلطانها بنظر الفقير الى الله تعالى عمر بن أبي الطيب غفر الله له ولمن اعان من المسلمين

على عمارة هذا الوقف المبارك ووافق الفراغ منه في العشر الأوسط من شهر ربيع الآخر

جاء في س ٥ من هذه الصفحة مقر ، وس ٦ وتخاصمه ابقيناها على حالها طبق الأصل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا النص المطابق لما كتب على باب البيمارستان القيمري نثبته ليقابل على ما ورد في (ص ٢٣٨ — ٢٤٤) هذا ما أوقفه وحبسه وابده الأمير سيف الدين القيمري رحمه الله تعالى على هذا البيمارستان فمن المرج نصف قرية البجدلية وكذلك قرية المسعودية بكمالها وأيضاً قرية المعضادية وايضاً من قرية بالا تسعة قراريط ونصف الحصص من الاضاع[1] الجولانية دير أيوب عليه السلام بكمالها دير الحرير وطواحينها بكمالها ودير السوج بطواحينها الحصة النصف والربع منها ومن قرية عترا الربع ومن قرية فادا النصف والثمن وتل سرية ثلث قراريط ونصف من المسقف حصة ابن مخشى بقيسارية قيراطين وحانوت بالفسقار مضمون برسم الشوي وصفة نوح سبعة عشر حانوت الحصة من ٠٠٠ ربع قيراط

سطر علوي مفرق كل جملة على حجر مستقل

(١) وخان التوتة بحكر السماق بكماله (٢) وحصة بطاحونة باب توما أربع قراريط (٣) وخان شمالي المارستان يشتمل على بيوت جماعة (٤) وقاعة شرقي المارستان (٥) حوانيت ومصلخ بباب المارستان سبعة عشر حانوت (٦) قاعة وحجرة واصطبل تحتها وقف امير الديدار بالقصاعين

وتحت ذلك

— بسم الله الرحمن الرحيم أمر ببناء هذا المارستان العبد الفقير الراجي رحمة ربه الكريم الأمير الأجل الكبير الغازي المجاهد المؤيد المظفر المنصور سيف الدين ملك الأمراء نصرة الغزاة والمجاهدين عضد الملوك والسلاطين نصير أمير المؤم[نين ابو] الحسن بن الأمير سيف الدين يوسف بن الامير ضياء الدين ابي الفوارس القيمري (٣) طلب ثواب الله تعالى وابتغاء مرضاته يوم يجزي الله المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين في أيام مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن مولانا السلطان الملك العزيز محمد خلد الله ملكه وسلطا[نه] من نعمة مولانا السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل محمد [تغمد] الله روحها وجع[ل] النظر [فيه على] (٣) جميع الأماكن الموقوفة على هذا المكان المبارك الى الأمير الكبير ناصر الدين ملك الأمراء

(١) كذا في الاصل ابقيناه على حاله . والظاهر انه جمع ضيعة وهو جمع عامي ملحون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والمقدمين مسدد آراء الملوك والسلاطين ظهير أمير المؤمنين لينظر فيه ناظراً وحاكماً بموجب الشرع العزيز ومقتضاه على ما هو مذكور في كتاب الوقف تقبل الله من منشئه وأثاب الناظر فيه وبعد ذلك جعل له النظر [لـ] مدرسته واناب [النظر له فمن بدله بعد ما سمعه] فانما إثمه على الذ [ين يبدلونه ان الله] سميع [عليم]

وقد أسقط التاريخ في البيمارستان القيمري كما أسقط في البيمارستان النوري ، ونحن نثبت نصه وقد كتب بخمسة اسطر على حجر مستقل — (١) ابتداء العمارة (٢) لاستقابل[1] ربيع (٣) الآخر سنة ست واربعين وستمئة (٤) ووقع الفراغ منه لاستقابل[1] (٥) المحرم سنة ست وخمسين وستمائة

الاستدراكات

ولدينا نصوص هي استدراكات على بعض مباحث الكتاب ننشرها اتماماً للبحث وخدمة للكتاب في (ص ٢٣٨) منه مخطط البيمارستان القيمري فتتميماً للبحث نضيف ما ذكره محمد ابن طولون الصالحي في القلائد الجوهرية[2] ليكون في جانب المخطط لأن هذا النص يصف لنا هيئة البيمارستان القيمري وجميع قاعاته وحجراته وما كانت مخصصة له ، وهذا نصه :

قال الشيخ جمال الدين بن عبد الهادي : واما المارستان القيمري فهو من احاسن الدنيا ، يقال انه ليس ثم في الدنيا بيمارستان احسن منه ولا اشرح ، فان فيه هذا الايوان المعظم[3] والقاعتان المعظمتان[4] القبليات بهذه الشبابيك المشرفة على الدنيا[5]

(١) هكذا ظهرت لنا في الكتابة المنقوشة على الحجر ولعله يريد لاستقبال .

(٢) نسخة مصورة عن خط المؤلف في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وبالخزانة التيمورية بمصر .

(٣) كثيراً ما يستعمل المؤلفون في العصر المملوكي لفظ المعظم للكبير والعظيم من الأبنية .

(٤) من عادة ابن طولون وشيخه ابن عبد الهادي ان يستعملا كتابة عامية ملحونة فنحن نبقيها على حالها محافظة على النصوص من اللعب فيها .

(٥) الشبابيك المذكورة تشرف على غوطة دمشق وبساتينها وجداولها الجميلة فلعله يريد أن جمال الدنيا متمثل فيها كما قال الصنوبري :

صفت دنيا دمشق لقاطنيها فلست ترى بغير دمشق دنيا
تفيض جداول البلور فيها خلال حدائق ينبتن وشيا
فمن تفاحة لم تعد خدا ومن رمانة لم تعد ثديا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتحت الشبابيك هذا الحوض النارنج لا سيما في ايام زهره تفوح منه هذه الرائحة الزكية فتنعش النفوس وتزكي الأرواح ، ويقال ان تمرلنك لما أخذ الشام نزل دواداره[١] فيه وقال درت جميع دمشق فما وجدت احسن منه ولا اشرح ولا افضا — وبه قاعتان لصيق القاعتين المذكورتين للمرضى المسهولين إحداهما للرجال والأخرى للنساء ولصيقهما حاصلان : شرقي معد للشرابات والمعاجين والأشياف[٢] والأقراص ، وغربي معد لتفرقة ذلك في كل يوم اثنين وخمسين للخارجين عنه — وقد رأينا ذلك ، وفي زمننا صار لا يفرق ذلك فيه الا في يوم الخميس فقط ، وفي كل يوم للمرضى به من نساء ورجال — وفي شرقيه مطبخ للمزورات[٣] والفراريج وغير ذلك ، ولصيقه ميضة ، وفي غربيه قاعة للمجانين ، ولصيقها حاصل للمغل ، وفي دهليز بابه الشمالي بيت البواب ؛ وبوسطه بركة معظمة يأتي اليها الماء بناعورة مركبة على نهر يزيد دائماً

وفيه خدم للرجال والنساء ، وكحال ، وطبيب ، وشراباتي ، وعامل ، ومشارف ، وغير ذلك من التراتيب الجيدة ، وبه محفة لحمل الضعفاء يحصل لهم بها في الصالحية نفع عظيم انتهى وهذا النص يوضح لنا الشيء الكثير من نظام هذا البيمارستان وتراتيبه

إضافات على بحث البيمارستان النوري

يوسف بن أحمد بن ناصر الباعوني قاضي دمشق المتوفى سنة (٩٨٠ هـ) تولى مباشرة البيمارستان النوري فضبط تركه ودخله وصرفه واستفضل من ذلك ما عمر منه فيه مكاناً عظيماً يعرف به واشترى أماكن واضافها لوقفه — الضوء اللامع (ج ١٠ ص ٢٩٨)

كتابات في البيمارستان النوري ظهرت حديثاً بعد طبع الكتاب

في الايوان الكبير الشرقي في البيمارستان المذكور — الذي كان يجلس فيه ابو المجد بن ابي الحكم راجع (ص ٢٠٩) — محراب وفوق المحراب بالأعلى رخامة بيضاء كتب عليها ما يلي :

---

(١) الدوادار وظيفة تعادل ما يسمى في عصرنا بأمين السر العام تقريباً .

(٢) الأشياف جميع شيف وشياف وهي الأدوية الخاصة بالعين .

(٣) جمع مُزوَّرة مرقة يطعمها المريض « مولدة » ، وقال الفقهاء : هي ما يطبخ خالياً من الادهان (شفاء الغليل)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والكتابة بخط نسخي جميل

وظهرت كتابتان أخريان في القاعة القبلية الغربية وهي التي عن يمين الداخل الى البيمارستان ولها شباكان شمالي يطل على الدهليز الداخلي ، وقبلي ، وفوقهما كتابة بخط فني على الجص باصباغ ملونة ، وكانت هذه الكتابة محجوبة بطبقة كلسية رفعتها عنها مصلحة الآثار في العام الماضي . وهذه صورة ما كتب فوق الشباك القبلي — (١) بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين (٢) جددت هذه العمارة المباركة في ايام مولانا الأعظ[م ناصر] (٣) الدنيا والدين سلطان الاسلام المسلمين خلد الله سلطانه ببقاء مولانا السلطان الملك (٣) السعيد ناصر الدنيا والدين محمد بتقدم العبد الفقير الى الله تعالى اقوش النجيبي الملكي الظاهري . (وبقية الكتابة ذاهبة)

وصورة ما فوق الشباك الشمالي ما يلي : — (١) بسم الله الرحمن الرحيم جددت عمل هذه القاعة المباركة ودهانها وعمل صقايلها وبياضها في أيام مولانا السلطان (٢) ابن السلطان ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين بدر الدين حسن خلد الله ملكه في نيابة مولانا ملك الامراء سيف الدين ارغون شاه اعز الله أنصاره (٣) وبنظر مولانا القاضي شمس الدين ابي عبد الله محمد بن القرشي الشافعي تقبل الله منه في شهر المحرم سنة تسع واربعين وسبعمائة والحمد لله (٤) وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد فات المؤلف بعض بيمارستانات ومدارس طبية نكتفي بذكر اسمائها مع بيان مصادرها تتميماً للبحث

في العراق

(١) مارستان البصرة -- الحوادث الجامعة طبع بغداد (ص ٣٣ و ١٨١)

(٢) قسم الطب والتطبيب في المدرسة المستنصرية ببغداد — الحوادث الجامعة (ص ٨٢) وتاريخ ابن كثير (ج ٣ ص ١٣٩ و ١٥٩)

(٣) مدرسة طب في البصرة — الحوادث الجامعة [ص ١٨١]

(٤) دار الشفاء المرجانية ببغداد — تاريخ مساجد بغداد وآثارها للآلوسي والاثري طبع بغداد [ص ٧٠ و ٧١]

في الشام

(٥) مارستان مجهول في صالحية دمشق قرب المدرسة الركنية في حي الأكراد ذكره محمد بن طولون مرتين : مرة في القلائد الجوهرية وسماه المارستان الشرفي وقال عنه انه بمحلة الركنية ولم ندركه الى خرابا وكذا آباؤنا ، وذكره مرة اخرى في اللمعات البرقية في النكت التاريخية طبع دمشق [ص ١٦] وسماه المارستان السيفي وقال عنه أنه بالصالحية العتيقة

(٦) مدرسة طب بدمشق اسمها الدنيسرية — تنبيه الطالب ومختصره للعلوي خط كلاهما في المجمع العلمي العربي بدمشق وبالخزانة التيمورية بمصر ، ومختصر تنبيه الطالب للبقاعي في المكتبة العربية بدمشق لأصحابها عبيد إخوان ، ومنادمة الاطلال لبدران خط في المكتبة التيمورية بمصر ، ودائرة الأوقاف بدمشق

(٧) مدرسة طب بدمشق اسمها اللبودية — مصادر المدرسة الدنيسرية

(٨) مارستان بطرابلس — تاريخ ابن الوردي [ج ٢ ص ٣٣٤]

(٩) مارستان سرمين بلدة قرب مدينة حلب — تاريخ ابن الوردي [ج٢ ص ٣١٠]

(١٠) مارستان عجلون تقدم الكلام عليه في هذا المقال

أما ما أشار اليه الدكتور اسعد الحكيم في [ج ١٦ ص ٥٦٢] في هذه المجلة من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذكر دار الجذام في دمشق فهي بالملاجئ اشبه منها بالمستشفيات ولم نطلع على أحد من المؤرخين أشار اليها ، وغالب ظني انها انشئت في القرن الثامن او التاسع الهجري تقريباً ، وهذه الدار قريبة من مسجد أبي صالح[1] الذي نزل فيه بنو قدامة المقادسة لما هاجروا إلى دمشق بعد احتلال الصليبيين لفلسطين وكانت هجرتهم الى دمشق وسكناهم في مسجد ابي صالح عام [٥٥١] وقد جاء في أخبار هجرتهم وسكناهم بالمسجد المذكور وصف كثير لما كان يحيط بالمسجد وما كانوا يلاقونه ويصادفونه في حياتهم اليومية ولم نر في أخبارهم اي ذكر للجذماء مما يجعلنا نقطع بان دار الجذماء لم تكن موجودة في عصرهم ، وما أشار اليه الدكتور اسعد من آثار البناء العظيم الذي ما زالت أنقاضه من الأعمدة والأحجار الضخمة باقية وهي ملقاة على الأرض وحائطه الغربي قائم وفيه الباب وهو مردوم بالتراب حتى قنطرته التي يستدل من شكلها على أنها من أعمال القرن السادس الخ — فهذا البناء هو بقايا مسجد بني بجانب القبر المنسوب الى ضرار بن الازور الصحابي ولا يزال القبر الى اليوم موجوداً معروفاً به ، وقد أشار الى القبر ابن الحوراني من أهل القرن الحادي عشر في كتابه الاشارات الى أماكن الزيارات [طبع دمشق بالمطبعة العلمية] في [ص ١٧] فقال عنه : وقبره ظاهر يزار ويتبرك به في محلة الجذماء ، وأشار اليه أيضاً البدري من أهل القرن التاسع في تحفة الأنام [طبع بالمطبعة السلفية بمصر] [ص ٣٧٦] فقال : ان بمقبرة الباب الشرقي قبر ضرار بن الأزور في حارة السادة[2] القدماء ، وهو خطأ مطبعي والصواب السادة الجذماء ، وهذان النصان هما الوحيدان اللذان نرى بهما ذكر محل الجذماء

وفي دار الآثار بدمشق شاهد قبر اخذ من هذا المحل وهو يحدد لنا تاريخ بناء هذا المسجد مع تجديد قبر ضرار وصورة ماعلى الشاهد — [١] بسم الله الرحمن الرحيم [٢] هذا

(١) هذا المسجد اليوم قد درس ولم يبق من آثاره شيء وقد أحيط على بعضه بجدار من تراب (دك) داخله قبر يعرف بالشيخ صالح ينذر له أهل القرى والبساتين التي حوله النذور وهو لصيق بستان الجزماء من جهة الشرق وهذا المسجد ينسب الى الشيخ ابي صالح مفلح بن عبد الله الحنبلي توفي سنة (٣٣٠) (٢) لا يزال بعض الناس ينعت الجذماء بالسادة جبراً لقلوبهم حتى وقتنا هذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قبر [٣] ضرار بن الازور صاحب [٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب [٥] الغزوات المشهورة والمواقف المشكورة [٦] في فتوح الشام وغيره رضي الله [٧] عنه وجدد هذا المكان المبا [٨] رك واعمر المسجد الفقير الى [٩] الله يوسف القرعوني غفر [١٠] الله له شر المبتلا في سنة اربعة وستين وستمائة

وذكر النعيمي في تنبيه الطالب والعلموي والبقاعي في مختصريه : جامع الملاح وانه خارج الباب الشرقي انشاء الصاحب غبريال سنة [٧٠١] وقد أوضح لنا ابن كثير في تاريخه [ج ١٤ ص ٨٨] حوادث سنة [٧١٨] مكان هذا الجامع فقال : وفي يوم السابع عشر ذي الحجة اقيمت الجمعة في الجامع الذي انشأه الصاحب شمس الدين غبريال ناظر الدواوين بدمشق خارج باب شرقي الى جانب ضرار بن الازور بالقرب من محلة القعاطلة[1] وخطب فيه الشيخ شمس الدين محمد بن التدمري المعروف بالنيرباني وهو من كبار الصالحين ذوي العبادة والزهادة وهو من أصحاب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وحضره الصاحب المذكور وجماعة من القضاة والأعيان

ويستنتج مما ذكر ان الباني الأول للمسجد هو يوسف القرعوني سنة [٦٦٤] وان تجديده من قبل الصاحب غبريال سنة [٧٠١] وايجاد منبر وجمعة فيه سنة [٧١٨]

وقد كان هذا المسجد قبل ثلاثين عاماً من وقتنا هذا عامراً في الجملة ولم يكن الطريق مرتفعاً عليه كما هو اليوم ، وكانت جبهته الغربية ظاهرة كلها على الطريق .

دمشق : محمد أحمد دهمان

(١) القعطلة الصرع ، والمقعطل الصريع ، ومحلة القعاطلة محلة الصرعى ، لأن القعاطلة جمع مقعطل ، وهو من الأوزان السامية في دمشق كما يقولون : مصارْوَة جمع مصري ، وحماصنة جمع حصي ، وحوارنة جمع حوراني الخ ومحلة القعاطلة هي جهة الجبانة الواقعة بين باب توما والباب الشرقي ، ودار الجزماء هي ضمن المقبرة — وان زالت بعض القبور من حولها — وحينئذ فالمراد بالقعاطلة أما اصحاب القبور الذي هم صرعى الموت ، فيكون المراد بمحلة القاطلة المقبرة والجبانة ، واما الذين أصابهم الجذام فجعلهم صرعى المرض ومحلتهم هي حظيرتهم التي تكلم عنها الدكتور أسعد الحكيم ، واهل دمشق يبدلون القاف الفاً مهموزة فيقولون في قال آل ، والقعاطلة الأعاطلة ، ونظراً لتشويه هيئة المجذومين وقذارتهم لفقرهم صار الدمشقيون يطلقون اسم الأعطلة على القذارة الشنيعة فيقولون : فلان يأعطل أي يفعل أفعالاً في غاية القذارة ، وفلان مأعطل أي قذر تتقلب النفس لرؤيته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net